الدرس التاسع: نظريات التحليل الدلالي

إنّ الدلالة-أو المعنى-جوهر كل دراسة؛ لغوية كانت أو غير لغوية. وقد سبق وذكرنا إسهامات العلماء من مختلف التوجهات المعرفية في التأسيس لعلم الدلالة، وكانت بصمة تلك العلوم واضحة في مجموع النظريات الدلالية. خاصة الأولى منها. وهي النظرية الإشارية، والتي تُعزى إلى أوغدن ورتشاردز، وقد ظهرت في أوروبا الغربية. وفحوى هذه النظرية أن المعنى هو ما تشير إليه الكلمة. أي: إنّ دلالة الكلمة شيء خارج عنها ألا وهو المرجع. مثال ذلك: تفاحة. فإنّ دلالتها هي التفاحة التي نمسكها ونأكلها؛ أي الشيء.

النظرية التصورية أو العقلية: إن كانت النظرية الإشارية قد بالغت في تشييء المعنى-إن صحّ التعبير-فإن النظرية التصورية قد بالغت في تجريده؛ بأن قالت إنّ المعنى هو الصورة الذهنية التي يستدعيها الدال. أو كما يقول الفيلسوف الإنجليزي جون لوك-وهو أول من قال بها-إن استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحساسة إلى الأفكار مبالغا في ذلك لدرجة أنه صرّح بإمكانية الاستغناء عن عالم الأشياء والاكتفاء بعالم الأفكار. مثال ذلك معنى التفاحة هو الصورة الذهنية التي تتبادر إلى الذهن عند سماعها.

النظرية السلوكية: وصاحبها اللغوي الأمريكي بلومفيلد الذي يرى أنّ دلالة اللفظ هي الناتج عن الفعل والاستجابة متأثرا بعلم النفس السلوكي؛ فدلالة الكلمة هي ما يكون من ردّ فعل عند سماعها. مثالها الذي أورده بلومفيلد: جاك وجيل والتفاحة. ذلك أن جيل طلبت من جاك إحضار التفاحة فبادر إلى قطفها. فكان معنى الكلمة وفقا للاستجابة التي أحدثها. إلا أن الذي يقال: إن ردود الأفعال-أو الاستجابات- تختلف من شخص لآخر للمثير نفسه فكيف يجعل ذلك أساسا لتحديد المعنى؟

1-نظرية الحقول الدلالية:

إن نظرية الحقول الدلالية من أشهر نظريات التحليل الدلالي-إن لم تكن أشهرها على الإطلاق-وتسعى هذه الأخيرة إلى الإحاطة بجميع مفاهيم اللغة من خلال تقسيمها إلى أطر عامة تندرج تحتها مجموعة من الحقول وهكذا...

نشأة النظرية: إن نظرية الحقول الدلالية –وإن كان العرب من السباقين إلى التصنيف وفقها دون التأسيس-غربية المنشأ ظهرت في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي على أيدي علماء سويسريين وألمان؛ منهم: إيسن، جولز، بروديغ، وترايز. وإلى إيسن يعزى أول استعمال لمصطلح الحقل أو المجال الدلالي. وقد حاول أن يصنّف حقلا دلاليا من مجموع الكلمات التي تنضوي تحت معنى موحّد وهي التي تتصل بالأغنام وتربيتها في اللغات

الهندو أوروبية. ولئن كان إبسن أول من استعمل مصطلح الحقل الدلالي فإن ماير من أوائل من لاحظوا هذه الظاهرة؛ مبيّنا أن كل مصطلح يشتق قيمته ضمن جدول الرتب العسكرية من مكانه داخل المصطلحات الأخرى، والتي تكون نسقا دلاليا. هذا إضافة إلى محاولات أخرى.

مفهوم نظرية الحقول الدلالية: مما سبق نعرف نظرية الحقول الدلالية بأنها نظرية من نظريات التحليل الدلالي، تقوم بدراسة المعنى من خلال تقسيمه إلى مجموعة من المفاهيم بينها روابط دلالية.

مفهوم الحقل الدلالي: يعرّف الحقل الدلالي (le champ semantique/semantic field) بأنه مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهوم عام يحدد الحقل. كما يعرّفه ستيفن أولمان بأنه قطاع متكامل من المادة اللغوية، يعبّر عن مجال معين من الخبرة. أما ليونز فعرّفه بأنه مجموعة جزئية لمفردات اللغة.

أنواع الحقول الدلالية: ثمة عدة تصنيفات للحقول الدلالية وفقا لطبيعة العلاقة بيتن عناصرها؛ من بينها: الحقول المتدرّجة، والحقول المتضادّة، والحقول الاشتقاقية، والحقول المترادفة، وغيرها. إلا أن الملاحظ على هذه الأنواع أنها لا تخرج عن تقسيم ستيفن أولمان الثلاثي:

-الحقول المحسوسة المتصلة: وهي التي تكون عناصرها متصلة في العالم الواقعي، مثالها حقل الألوان.

-الحقول المحسوسة المنفصلة: وهي التي تكون عناصرها منفصلة في العالم الواقعي، مثالها حقل الأقارب.

-الحقول التجريدية: وهي ذات العناصر المجرّدة غير المدركة بالحواس وإنما بالعقل، مثالها ألفاظ الخصائص الفكرية والعاطفية.

أنواع العلاقات داخل الحقل الدلالي: يرى أحمد مختار عمر أن العلاقات الدلالية داخل الحقل الواحد لا تخرج عن: علاقة الترادف، وعلاقة التضاد، وعلاقة الاشتمال، وعلاقة الجزء بالكل، وعلاقة التنافر. وسبق أن شرحناها في درس العلاقات الدلالية، فأغنى عن الإعادة.